الشَّريفُ الرَّضيُّ وكتابُهُ
(تلخيص البيانِ عن مجازاتِ القرآنِ)

نقد وتعليق
أ.د. عائد كريم الحريزي
استاذ متمرس في جامعة الكوفة

الشريف الرضي: هو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الطاهر، ولد في بغداد سنة ٣٥٩هـ، وتوفي ٤٠٦هـ شاعر متميّز له ديوان مطبوع، ومن الكتب ما يزيد على خمسة عشر كتابا، ومن أهمها (حقائق التأويل في متشابه التنزيل) و(مجازات الاثار النبوية) و(تلخيص البيان عن مجازات القرآن) وهو الكتاب الذي نقدنا شيئا منه في هذا البحث؛ لاختلاف وجهات النظر مرة أو لأن بعض الحقائق العلمية لم تكن معروفة في عصره مرة أخرى.

١. قال تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾[سورة آل عمران: ١٨٨].

قال الرضي: المفازة: الأرض البيعدة إذا قطعها الإنسان، فاز بقطعها، وأمن من خوفها (ص١٢٦).

وأرى أنَّ (المفازة) سميت بهذا الاسم تفاؤلا بأنَّ الذي يقطعها يفوز مثل القافلة هي الراجعة، ولكن تسمى بها الذاهبة، الراحلة تيمنا بأنها ستقفل أي تعود، كما يسمى الملدوغ بـ (السليم) عساه أنْ يسلم من السم.

٢. قال تعالى: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[سورة الأعراف: ١٦].

قال الرضي: المراد لأقعدن لهم على صراطك المستقيم، فلما حذف الجار انتصب الصراط، والحذف ههنا أبلغ في الفصاحة، وأعرف في أصول العربية، ونظيره قول ساعدة بن جؤبة: ((كما عسل الطريق الثعلب) أي عسل في الطريق) ص ١٤٣.

والرضي هنا ذكر أنّ حرف الجر كان موجودا فحذف، وأرى أنّ الحرف لم يذكر لإرادة الكلية، فلو قال: (لأقعدن على صراطك)، لكان القعود على جزء من الطريق بينما من غير (على) يكون القعود شاملا الطريق كله.. وأما البيت الذي ذكره فلأجل الوزن، ولإرادة العموم أيضا.

٣. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾[سورة التوبة: ١٢٨].

قال الرضي المراد بـ (أنفسكم) هنا، أي من جنس أنفسكم وخلقكم... ويجوز أن يكون من أنفسكم أي من قبيلتكم وعشيرتكم.. وقد يكون المراد من أشقائكم وأعزائكم... ص١٥٢.

وعندي أنّ الأمر على غير ما ذهب اليه الرضي، وأنّ قراءة الرسول، وفاطمة عليهما السلام (مِنْ أَنْفَسِكم) بفتح الفاء وكسر السين من النفاسة هي الأرجح لأنهم قالوا: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[سورة الزخرف: ٣١] فرد عليهم القرآن بأن الرسول من أَنْفَسِ الناس ولا يقل شأنا عن الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود.

٤. قال تعالى: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[سورة هود: ٨٠].

قال الرضي ((وجاء جواب (لو) ههنا محذوفا...) ص١٦٣.

وأرى أنّ (لو) هنا ليست شرطية، وإنما هي (للتمني) ولا جواب لها أصلا، أي أن شعيبا عليه السلام يتمنى أنْ تكون له هذه الأشياء.

٥. قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾[سورة يوسف: ٤].

قال الرضي جاء (ساجدين) وليس ساجدة، لأنها أطلق عليها فعل من يعقل،

فجاز أنْ توصف بصفة من يعقل، لأنّ السجود مِنْ فِعل العقلاء... انظر ص ١٦٩.

وأرى أنّ الله سبحانه وصفهم بـ (ساجدين) لأن الشمس كناية عن أمه، والقمر كناية عن أبيه، والكواكب كناية عن أخوانه، وقد كنى عنهم يوسف تأدبا معهم.

٦. قال تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾[سورة النحل: ٦٩].

قال الرضي: ((والمراد مِنْ جهة بطونها، وجهة بطونها: أفواهها وهذا من غوامض هذا البيان، وشرائف هذا الكلام)) ص١٩٣.

الرضي لا يعرف أنّ للنحلة معدتين وجوفين، إحداهما لصنع العسل، والأخرى لصنع غذائها، والعلم الحديث أثبت ذلك.

٧. قال الرضي: ((وترد في كلامهم كاد بمعنى أراد، وأراد بمعنى كاد وجاء في القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾[سورة يوسف: ٧٦] أي: أردنا ليوسف)) ص٢١٦.

وأرى أنّ (كاد) هنا ليست بمعنى أردنا، ولو أرادها الله سبحانه لقالها، وإنما المراد دبرنا له (كيدا) فكرة مقرونة بذكاء شديد للوصول الى هدف والحصول عليه.

٨. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾[سورة المؤمنون: ١٢].

قال الرضي: ((وهذه استعارة؛ لأن حقيقة السلالة هي أنْ نسل الشيء من الشيء، فكأن آدم عليه السلام لمّا خلق من أديم الأرض كان كأنه انسل منها، واستخرج من سرها)) ص٢٤١... وأرى أنّ الطين أنواع، وآدم من أحد هذه الانواع.

٩. قال تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ [سورة يس: ٣٧].

هذه استعارة، والمراد نخرج منه النهار... والسلخ إخراج الشيء مما لابسه والتحم به.. اتصال الملابس بأبدانها، والجلود بحيوانها... ص٢٧٤.

وما قاله الرضي صحيح، ولكن سمي بالسلخ هنا نظرا لرقة الطبقة الضوئية بالنسبة للظلام في الكون، لأن الطبقة الضوئية مقدارها ٢٠٠كم.

١٠. قال تعالى﴿ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴾[سورة ص: ١٢].

قال الرضي: ((معنى ذي الأوتاد يعني ذو الملك الثابت.. او ذو الأبنية المشيدة.. التي تشبه الجبال)) ص٢٧٨.

وكلام الرضي بشقيه جائز، وقيل سمي بذي الأوتاد لأنه يضرب أوتادا في الأرض ويشد المصلوب إليها من أطرافه الأربعة ويتركه من غير أكل ولا ماء الى أنْ يموت، والسياق يرجح هذا، لأنّ الآية جاءت في سياق الذم لا في سياق المدح، والسياق من أهم القرائن الدلالية.. . وقيل المراد بها الأهرام.. تشبيها بالجبال التي وصفها الله سبحانه بالأوتاد بقوله: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾[سورة النبأ: ٦-٧]. والجبال وصفت بالأوتاد؛ لأنها تثبت طبقة الأرض التي تحتها، وجذر الجبال يعادل أربعة أضعاف طوله في أقل تقدير، فالجبل الذي يرتفع (١٠٠) متر يكون جذره (٤٠٠) متر في الأرض.

١١. قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾[سورة ص: ٢٣].

قال الرضي: ((وهذا الكلام داخل في حيز الاستعارة؛ لأن النعاج ههنا كناية عن النساء، وقد جاءت في أشعارهم الكناية عن المرأة بالشاة)) ص٢٧٩.

وأرى أنّ النعجة باقية على حقيقتها للأسباب الآتية:

أ. اذا أمكن حمل الكلام على الحقيقة فلا يُصار الى المجاز.

ب. أكثر المفسرين أبقوها على الحقيقة (روح المعاني ١٢/ ١٧٢ -١٧٥).

ج. المفروض بالمدعي أن يذهب الى أهل المرأة والى العشيرة ليشكو أمر المدَّعى عليه، وليس في الأمر حاجة الى القضاء.

د. قال المدعى عليه (أكفلنيها) ولم يقل زوجني بها، او انكحني إياها، وهما الفعلان المعروفان في الزواج.

ه. قال داود كما جاء في القرآن: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[سورة ص: ٢٤] والخلطاء هم الشركاء الذين اختلطت أموالهم... وليس لخلط الزوجات معنى.

و. اذا كان المقصود المرأة، فلماذا لم تذكر وفي القرآن سورة باسم النساء؟ ولماذا كني عنها، وكنايات القرآن فيما يدور حول النساء والرجال تأتي للتأدب في الأسلوب (كالرفث) والملامسة، والمس، وليس في الأمر هنا ما يدعو الى التأدب.

واستنادا الى ذلك كله فالنعجة في الآية هي النعجة على حقيقتها، ولم يقصد بها المرأة، وقد أراد سبحانه أنْ يعلم داود﵇ القضاء؛ لأنه قضى من دون إحضار شهود، ومن قال المقصود بها المرأة، فيبدو أنه متأثر بالاسرائيليات، وهم يقصدون بها الإساءة الى أنبيائهم.

١٢. قال الرضي: ((وقوله تعالى في ذكر الخيل حاكيا عن سليمان﵇ لما عرضت عليه فكاد أن يفوته للشغل بها وقت صلاة كان يصليها، فضرب رؤوسها وعرافيها بالسيف على ماوردت به الأخبار قال تعالى: ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ ﴾ [سورة ص: ٣٣]. وهذه استعارة؛ لأن المسح ههنا في أكثر أقوال أهل التأويل كناية عن الضرب بالسيف، وامسح رأسه اذا فعل به ذلك، وهذه الباء ههنا للإلصاق، فكأنه تعالى قال: وألصق السيف بسوقها وأعناقها... والشاهد الأعظم على ذلك ما ورد في ص قوله: ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [سورة المائدة: ٦].

وأرى أنّ المسح هنا هو المسح ولا توجد استعارة كما قال الرضي، وكان من عادة الناس أنْ يُركضوا خيولهم مرات عدة ثم يمسحوا سوقها وأعناقها؛ ليعرفوا الأصيل من غير الأصيل الذي فيه عرق في رأسه وعنقه هو غير أصيل، والذي لا عرق فيه في هذه الأماكن هو الأصيل فهو شبيه بفحص الجهد عند الأطباء؛ ليعرفوا به سلامة القلب من مرضه والنبي سليمان﵇ فعل هذا الفحص لخيوله ليعرف الأصايل منها، وليس كما قال الرضي وكثير من المفسرين؛ لأنّ قطع رؤوس تلك الخيول، وسوقها بلا ذنب حرام، وليس ذلك من أخلاق الأنبياء، وذكر قوله تعالى: ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ الذي ذكره الرضي حجة عليه، وليس له، ولو كان المسح بمعنى القطع

لقطع الناس رؤوس بعضهم بعضا عند الصلاة وهي حجة له بالالصاق فقط، والظاهر والله أعلم أنّ حديث القطع هذا من تلفيق اليهود؛ للإساءة الى الأنبياء كما قلنا ثم بعد ذلك كله كيف يستطيع نبي او أي إنسان من قطع هذا العدد الهائل من رؤوس الخيل وأعناقها؟.

١٣. قال تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ ﴾[سورة الزمر: ٥].

قال الرضي: ((وهذه استعارة، والمعنى يُعلي هذا على هذا، وذلك مأخوذ من قولهم: كار العمامة على رأسه يكورها، اذا أدارها عليه، وقد قالوا: طعنه فكوره، أي صرعه...)) ص٢٨٣.

كلام الرضي لغوي وبلاغي، وبقي شيء لم يذكره هو أن الآية إحدى آيات ثلاث دليل على كروية الارض لأنك تكور شيئا على الشيء المكور، ولو لم يكن مكورا لما قلنا كورنا.... ولقلنا مثلا غطينا أو سترنا، والثانية: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَهَا ﴾[سورة الحجر: ١٩]، لأن الشكل الهندسي الوحيد الذي يمكن أن تكون فيه الأرض ممدودة في كل بقعة تصل إليها هي أن تكون الارض كروية (يوسف، مجموع الإعجاز العلمي ٢٣١) والثالثة هي: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ [سورة الفرقان: ٤٥]؛ لأن الارض لو لم تكن كروية لما طال الظل وقصر.

١٤. قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[سورة الزمر: ٦٣].

قال الرضي: ((وهذه استعارة، والمقاليد المفاتيح... ثم قال: ((وقد وصف سبحانه السماء في عدة مواضع بأن لها خزائن وأبوابا، فحسن على مقتضى الكلام أن توصف بأن لها مقاليد وإغلاقا)) (ص٢٨٥ -٢٨٦).

ولا أرى في الآية استعارة؛ لأن لها مفاتيح على الحقيقة، ولها أبواب كذلك وأسيجة أيضا، ولكن ليست كمفاتيح البيوت أو أبوابها، وأسيجتها. فالارض التي نعيش فيها - مثلا-لها سياج، ولها باب، وسياجها هو غاز الأوزون الذي يحيط بها، ويحفظ أهلها ومما فيها من سقوط الشهب، والنيازك عليهم، ولها باب قدّر العلماء

عرضه بـ (٧٥) كم يقل الأوزون في هذه المسافة او ينعدم، تخرج منه السفن الفضائية الى الفضاء، وتعود منه أيضا الى الأرض، ولولا هذا الباب لما استطاع الإنسان أن يذهب الى القمر أو الى أي كوكب آخر، لأن السفينة الفضائية إن لم تخرج منه تصطدم بـ (الأوزون) فتخترق.

١٥. قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[سورة غافر: ١٩].

قال الرضي: (ويجوز أنْ تكون خائنة الأعين ههنا صفة لبعض الأعين، بالمبالغة في الخيانة.. كما يقال علّامة، نسابة) ص٢٩٠.

وأرى أنّ (خائنة) ليست للمبالغة، وهي اسم فاعل، ولو أراد المبالغة لقال (خوّانة) وهي التي على وزن فعّالة مثل (علامة ونسابة) وقد وردت بصيغة المبالغة في آيتين هما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [سورة الحج: ٣٨]. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾[سورة النساء: ١٠٧].

١٦. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [سورة فصلت: ٣٩].

قال الرضي: (وهذه استعارة، وقد مضى الكلام على نظيرها في الحج ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾[سورة الحج: ٥]. الا أنّ ههنا زيادة وهي صفة الأرض بالخشوع كما وصفت هناك بالهمود واللفظان جميعا يرجعان الى معنى واحد، وهو ما يظهر على الأرض من آثار الجدب وأعلام المحل) ص٢٩٥.

وأرى أنّ معنى هامدة يختلف عن معنى خاشعة، لأن هامدة ميتة جرداء، وهي من الهمود أي الموت، وأما خاشعة فهي معدة للزراعة، حراثة وأسمدة، وجداول، وتنتظر رحمة الله بإنزال المطر، فهي كالمؤمن الخاشع الذي ينتظر رحمة ربه، ونعمه.

١٧. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ١١].

قال الرضي: جاءت لفظة (النشور) بدل الإحياء، لأنها أبلغ لأن الإنشار صفة

تختص بها الإعادة بعد الموت، والإحياء قد يشترك فيه ما يعاد من الحيوان بعد موته، وما يعاد من النبات والاشجار بعد تسلبه وجفوفه) ص٣٠٠.

وارى أنّ استعمال الفعل (أنشرنا) الخاص بإحياء (الناس) بعد موتهم وإسناده الى ضمير العظمة (نا) تفخيم للإنبات وإعلاء لشأنه، وأنْ الموت هنا يشمل الميت حقيقة من الأشجار، او كالميت، وهو الحيوان المصاب بالهزال او الإنسان المصاب به أيضا أو الكئيب خاصة، قال الشاعر:

إنما المَيْتُ مَنْ يعيش كئيبا كاسفا بالُهُ قليلَ الرَّجاءِ

وهذا ما نلاحظه في الشعوب الأفريقية عندما تصاب أراضيهم بالجفاف الشديد الذي يميت الحيوان والإنسان والنبات، رأينا منهم أناسا لا يستطيعون القيام من شدة الجوع ورأينا الحيوانات النافقة او شبه النافقة، ورأينا أطفالا يرضعون حتى الكلاب، وهذا هو الموت بعينه، وهذا هو البلد الميت.

ولكن لو نزل المطر عليهم لاخضرت الأرض، وكثرت النباتات، وأثمرت الأشجار وسمنت الحيوانات، وتوالدت، وعاش الناس برفاهية وصحت أبدانهم، وظهر البِشر على وجوههم، وهذا هو النشور.

١٨. الشريف الرضي يُقدّر مضافا في قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[سورة يوسف: ٨٢]. أي، واسأل أهل القرية، لأن القرية عنده لا تُسأل.

وأرى أنّ القرية في القرآن تأتي بمعنى المدينة الصغيرة وساكنيها، أو المجتمع، فإن كان المجتمع فالأمر واضح؛ لأنّ المجتمع الذي هم الناس ـ يُسأل، وإنْ كان المقصود المدينة، فجيء بها لأمر معنوي هو أنّ الأمر واضح جدا حتى لو سألت القرية بمبانيها بأهلها لنطقت وأجابت عن سؤالك، ورأيته أيضا يقدر هو وغيره المضاف ـ حب ـ في قوله تعالى ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾[سورة البقرة: ٩٣]. ولو اراد سبحانه المضاف لذكره، ولكنه لم يذكره أصلا، ويجب ألا يُقدّر، لأنّ الآية أريد بها التعبير الشديد عن حبهم العجل، فكأن المراد أنّ قلوبهم أشبعت به، وأنّ العجل نفسه قد

تغلغل في قلوبهم تغلغل الماء في الطحين، لفرط هذه المحبة وشدتها، قال الشاعر:

ولما ألتقينا قرَّبَ الشوقُ بيننا ... خليلين ذابا رقّةً وعتابا
أنّ خليلا في ثنايا خليله ... تسرّب أثناءَ العناق وذابا

١٩. قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[سورة الزخرف: ٤٥].

قال الرضي: ((هذا الكلام داخل في قبيل الاستعارة؛ لأنّ مسألة الرسل الذين درجت قرونهم وخلت أزمانهم غير ممكنة؛ وإنما المراد، واسأل أصحاب من أرسلنا من قبلك من رسلنا، أو استعلم ما في كتبهم، وتعرف حقائق سننهم... وقال بعضهم مسألة الرسل ههنا بمعنى المسألة عنهم، وعما أتوا به من شريعة)) ص٣٠١.

وهذا الذي ذكره الرضي جائز، ولكن الأرجح منه، والأقرب الى اليقين هو أنّ الرسول محمدﷺ كان يجتمع بارواح الأنبياء، أو هو أول الأنبياء وآخرهم أو هو الرسول الأعظم كان يجتمع بالأنبياء على مر العصور الى أن جاء الزمن الذي يتحمل المسؤولية فيه ويبلغ ما أراده الله، والذي يدل على هذه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[سورة السجدة: ٢٣]، ومعنى أنّ الرسول محمدﷺ كان موجودا قبل (موسى) وأمره بألا يشك في لقائه؛ لأنه مرسل منه وأوتي كتابا.

٢٠. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾[سورة ق: ٣٧].

قال الرضي: أي عقل، ولب، يعبر عنهما بالقلب...))ص٣١٢.

وأرى أن القلب هو القلب نفسه، وليس هو العقل كما قال الرضي وفريق من المفسرين؛ لأن الله سبحانه لو كان يريد (العقل) لذكره، وما الحكمة في أنْ يذكر القلب ويريد به العقل؟. والأرجح عندي أنّ (القلب) جاء هنا من دون العقل؛ لأنّ السياق قبله سياق مشاعر، جنة وسلام، و: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[سورة ق:

٣٥]. والمشاعر أدخل في القلب منه في العقل، وبعض التجارب تؤيد أنّ للقلب دورا في الإدراك، وهو يتأثر بمشاعر الخوف، والحزن، والفرح تزيد سرعته، او تنقص، والعقل، مأخوذ من عقال الدابة التي تربط به فكأنه يربط الإنسان عن التصرفات الخاطئة، ويوجهه نحو الصائبة منها، واللب كل شيء داخل ظرف فهو لب.. فالعقل لب، والقلب لب وأثبت العلم أنّ عضلة القلب يصيبها ارتخاء عند مرض او حزن شديد، وكان القرآن قد أشار الى هذا، قال تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة الكهف: ١٤]. وقال أيضا: ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾[سورة الأنفال: ١١].

٢١. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾[سورة الطور: ٤٩].

قال الرضي: (وإدبار النجوم بكسر الهمزة، وهذه استعارة على القراءتين جميعا، فمن قرأ بفتح الهمزة كان معناه، وأعقاب النجوم، أي أواخرها اذا انصرفت.. . وتلك صفة تخص الحيوان المتصرف الذي يوصف بالمجيء، والذهاب والإقابل والإدبار، ولكنها استعملت في النجوم عن طريق الاتساع) ص٣١٦.

وأرى أنّ (أدبار) صفة تستعمل للحيوان وغيره، وقد استعملها لغيره فلماذا نقصرها إذن على الحيوان، وقراءة الفتح عندي أرجح من الكسر؛ لأن النجوم لا تدبر في وقت واحد.

والمعجمات تذكر أنّ كلمة (أدبار) للأوقات كالصباح، والمساء والشهوروالفصول الأربعة كأدبار الشهور، وأدبار الصيف وغيرها كدبور الرياح، والريح الدبور، وهكذا، واستنادا الى هذا فاستعمالها مع النجوم ليس مجازا كما قال الشريف الرضي.

٢٢. قال تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[سورة التحريم: ٤].

قال الرضي: ((وهذه استعارة، ومعنى صغت قلوبكما أي مالت وانحرفت.. وإنما قال سبحانه: ﴿ قُلُوبُكُمَا ﴾ والخطاب مع امرأتين؛ لأنّ كل شيئين تجوز العبارة عنهما بلفظ الجمع في عادة العرب.

وقال الله سبحانه في موضع آخر: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [سورة المائدة: ٣٨]. وأنما أراد سبحان قطع يمين السارق ويمين السارقة، وذلك مشهور في اللغة)ص٣٣٧.

وهذا الذي ذكره الرضي غير صحيح وقد بحثت ذلك في كتاب (من لطائف القرآن تحت عنوان: هل التثنية جمع؟.).

رأي فريق من اللغويين أن التثنية جمع لأنك فيها تزيد واحدا أو واحدة إلى مثليهما فيصيران اثنين أو اثنتين ثم تتوالى الزيادات بعد ذلك، ودليلهم أمران: احدهما أنهما قد يتبادلان المواقع فيأتي جمع ((اقتتلوا)) ثم يعدل عنه إلى التثنية ((فأصلحوا بينهما)) أو يؤتى بالمثنى ثم يعدل إلى الجمع أو يُخبر به عنه كقوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ ﴾[سورة الحج: ١٩] والدليل الآخر: هو أن الجمع ورد مضافا إلى المثنى في قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ وقوله ﴿ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ من إضافة الجمع (قلوب) إلى ضمير التثنية (كما في الآية الأول وإضافة الجمع (أيدي)) إلى ضمير التثنية ((هما)) في الآية الثانية؛ لذا سأتناول الآيات التي اختلفوا فيها لأنها من لطائف القرآن.

أ. قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [سورة الحجرات: ٩ – ١٠].

الطائفة مجموعة من الناس لديهم فكرة يطوفون حولها، والذي يُسأل عنه هو إنهما طائفتان، فلماذا واو الجماعة في (اقتتلوا) ولماذا عاد إلى المثنى في (بينهما) وفي (أخويكم)؟. وجوابه هو أن الفعل في اقتتلوا))وبضمير الجمع، وليس تقاتلتا، أو ((اقتتلتا))؛ لأسباب معنوية، وصوتية، فقيل: ((اقتتلوا)) إشارة إلى كثرة القتال بينهما، والاستعداد له، ومحاولة الغلبة فيه، وهذا هو شأن الأوس والخزرج الذين

نزلت الآية فيهم، وأُسند الفعل إلى واو الجماعة؛ لأن كل طائفة فيها أفراد متعددون، وفي القتال يشتركون كلهم فيه، فمجيء ضمير الجمع تعبير عن ذلك، هذا من ناحية المعنى، أما من ناحية الصوت فلئلا تتوالى الأمثال أي لئلا يتوالى مثنى مضاف إلى ضمير التثنية، وتتوالى التاءات في ((اقتتلتا)) كقراءة إبراهيم بن أبي عبلة، وقال: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ وليس بين إخوتكم؛ لأن المقصود أصلحوا بين رئيسي الطائفتين، فإنْ تصالحا، فإن أفراد الطائفتين يتصالحون كلهم، وهذا ما كان، وما نراه في الوقت الحاضر، فإذا اختلف رئيسا دولتين اختلف الشعبان، وشددت إجراءات السفر، والتأشيرات، وكتبت الصحف بما لا يليق، وتحدثت الإذاعات بالشر، وإن تصالحا زالت تلك المظاهر، وكأن شيئا لم يكن. قال الرازي: ((قال ـ اقتلوا ـ ولم يقل ـ اقتتلا ـوقال ـفأصلحوا بينهما ـولم يقل ـبينهم ـذلك؛ لأن عند الاقتتال تكون الفتنة قائمة، وكل واحد برأسه يكون فاعلا فعلا، فقال ـاقتتلوا ـوعند العود إلى الصلح تتفق كلمة كل طائفة، وإلا لم يكن يتحقق الصلح فقال ـبينهما ـلكون الطائفتين حينئذ كفئتين)) التفسير الكبير ٢٨/ ١١٠، وقال الآلوسي: ((اقتتلوا ـأي تقاتلوا، وكان الظاهر اقتتلتا بضمير التثنية كما في قوله تعالى ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ أي بالنصح وإزالة الشبهة إن كانت والدعاء إلى حكم الله عز وجل، والعدول إلى ضمير الجمع لرعاية المعنى فإن كل طائفة من الطائفتين جماعة فقد روعي في الطائفتين معناهما أولا، ولفظهما ثانيا على عكس المشهور في الاستعمال، والنكتة في ذلك ما قيل إنهم أولا في حال القتال مختلطون، فلذا جمع أولا ضميرهم وفي حال الصلح متميزون متفرقون فلذا ثنى الضمير، وقرأ ابن أبي عبلة ((أقتتلتا)) بضمير التثنية والتأنيث كما هو الظاهر، وقرأ زيد بن علي، وعبيد بن عمير ((اقتتلا، بالتثنية والتذكير باعتبار أن الطائفتين فريقان (روح المعاني ١٣/ ٣٠١ وقال في قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، للإيذان بأن الإخوَّةَ الدينية موجبة للإصلاح، ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا للمأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الإصلاح والتحضيض عليه،

وتخصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك بطريق الأولوية؛ لتضاعف الفتنة والفساد فيه، وقيل، المراد بالأخوين الأوس والخزرج اللتان نزلت فيهما الآية، سمي كلا منهما أخا لاجتماعهم في الجد الأعلى، وقرأ زيد بن ثابت وابن مسعود والحسن بخلاف عنه ((إخوانكم)) جمعا على وزن غلمان ((روح المعاني ١٣/ ٣٠٣)).

ومثل ذلك يقال في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ... ﴾ [سورة الحج: ١٩] قرأها الجمهور ((اختصموا)) وقرأها إبراهيم بن أبي عبلة ((اختصما)) مراعاة للفظ، وخصمان تثنية خصم، وقرأها الكسائي بكسر الخاء، وقيل هم المؤمنون واليهود، وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يقسم أن هذه الآية نزلت في الثلاثة ((والثلاثة الذين بارزوا يوم بدر، وهم حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث، وعلي بن أبي طالب، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة... وخصمان مثنى، وأعيد عليه ضمير الجمع ((اختصموا))؛ لأن كل خصم يضم جمعا، فروعي المعنى لذلك، قال الآلوسي: ((ولما كان كل خصم فريقا يجمع طائفة جاء ((اختصموا)) بصيغة الجمع ((روح المعاني ٩/ ١٢٧-١٢٨)).

ب. قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾[سورة المائدة: ٣٨] فيهما قراءتان: النصب والرفع، وقرأ عبد الله بن مسعود: ((والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم)) وقرأ أبي بن كعب ((والسُّرّق والسُّرقة)) (البحر المحيط ٣/ ٦٥٨ بيروت ٢٠٠٠م) وقدم السارق على السارقة؛ لأن السرقة في الذكور أكثر، فهم الذي يخرجون من البيت كثيرا، يرون المغريات، والنفس أمارة بالسوء، على عكس آية (الزنا) لأن المرأة لو لم ترسل إشارات لما حدث ذلك، قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ ﴾[سورة النور: ٢].

والمراد باليد فيه آراء ذكرها الرازي بقوله: ((إن اليد اسم يتناول الأصابع فقط، ألا ترى أنه لو حلف لا يمس فلانا فمسه بأصابعه فإنه يحنث في يمينه، فاليد اسم

يقع على الأصابع وحدها، ويقع على الأصابع مع الكف، ويقع على الأصابع والكف والساعدين إلى المرفقين، ويقع على كل ذلك إلى المنكبين (التفسير الكبير ١١/ ١٧٧).

ولما كان لفظ اليد محتملا لكلّ هذه الأقسام فقد اختلف الفقهاء فيما يقطع على ما يأتي:

١. ذهب الجمهور إلى أن المقطع هو الرسغ، وروي أن الرسول ﷺ قطع منه.

٢. ذهب الإمامية إلى أن القطع من أصول الأصابع، ويترك الإبهام والكف ودليلهم قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة البقرة: ٧٩]. إذ لا شك أنهم إنما يكتبونه بالأصابع وقد أحسنوا في ذلك، لأن الرسغ قد يستعان به لأمور شتى، ولأن الإبهام دليل وهوية كما أثبت العلم الحديث.

٣. ذهب جماعة إلى أن المقطع هو المرفق.

٤. ذهب الخوارج إلى أن المقطع هو المنكب.

٥. قال الطيبي لكل سارق يدان فيجوز الجمع، وأن تقطع الأيدي كلها من حيث ظاهر اللغة ((روح المعاني ٣/ ٣٠٣)).

٦. ذهب جماعة إلى أن اليد لا تقطع، وإنما تجرح لتترك فيها علامة سمة يعرف السارق منه؛ استنادا إلى الآية ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾[سورة يوسف: ٣١].

ت. قال تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[سورة التحريم: ٤]. المشكل في هذه الآية أن المخاطبتين اثنتان هما: حفصة وعائشة وقلوبكما جمع (فقال أبو حيان لأن التثنية جمع في المعنى ((البحر المحيط ٨/ ٤٠٩، وقال الطبرسي: لئلا يجمع بين تثنيتين ((مجمع البيان ٥/ ٣١٣))، وقال العيني بناء على أن أقل الجمع اثنان، ((عمدة القارئ ٢٣/ ١١٠)) وقال الآلوسي: ((والجمع في ((قلوبكما)) دون التثنية؛ لكراهة اجتماع تثنيتين مع ظهور المراد، وهو في مثل ذلك أكثر استعمالا من التثنية والإفراد ((روح المعاني ١٤/ ٣٤٧) وقد علل الدكتور صلاح عبد الفتاح ذلك بـ ((إن المسلم عندما يعمل الذنب والخطأ والمعصية يتأثر قلبه بذلك فيميل

عن وضعه الإيماني، وينزل عن درجته الإيمانية، ويقل مستواه الإيماني، وهذا هو المراد بالصغو. وبما أن الصغو يتضمن معنى الانحراف إلى أسفل؛ لأن الإيمان ارتفاع إلى أعلى، والمعصية انحدار وانحراف إلى الأسفل؛ لذلك يكون صغو القلب وميله وانحداره نحو الأسفل متفاوتا ومتسارعا. بمعنى أنه كلما زاد ميلان القلب وانحداره تغير مستواه، وزاد تأثير الميل والصغو، وكأن القلب في عملية صغوه، وانحداره ليس قلبا واحدا بل عدة قلوب، ولو لاحظ أحد الفروق بين القلب في مراحل ودرجات صغوه وانحداره لوقف على ذلك، ولاحظ تأثير الانحدار المتسارع والمعصية فيه ولو الُتقطت للقلب عدة صور تمثل كل صورة درجة من درجات انحداره لوجدت فروق.

لهذا المعنى وردت القلوب في الآية مجموعة ((فقد صغت قلوبكما)) وكأن كل واحدة منهما ملكت أكثر من قلب من خلال أثر الصغو والميل للقلب في مراحل صغوه ((لطائف قرآنية ص ١٣٠ -١٣١)).

وإذا صح هذا التعليل في هذه الآية فلا يصح في غيرها، ويبقى التخفيف ((العلة الصوتية)) للتخلص من توالي الأمثال هي العلة الراجحة المرادة في كل ما جاء على هذه الشاكلة، وكلام العرب شاهد على ذلك.

٢٣. قال تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾[سورة التحريم: ١٠].

قال الرضي: ((وهذه استعارة، لأنّ وصف المرأة بأنها تحت الرجل ليس يراد به حقيقة الفوق والتحت، وإنما المراد أنّ منزلة المرأة منخفضة عن منزلة الرجل؛ لقيامه عليها وغلبته على أمرها))ص٣٣٨.

وأرى أنّ منزلة المرأة ليست منخفضة عن منزلة الرجل وهي التي قال فيها الرسول: (الجنة تحت أقدام الأمهات) وقال فيها (رفقا بالقوارير).

٢٤. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ

﴿ٱلنُّشُورُ﴾ [سورة الملك: ١٥].

قال الرضي: ((وهذه استعارة؛ لأنّ الذلول من صفة الحيوان المركوب))ص ٣٤٠.

وأرى أنّ كلمة ذلول عامة غير مختصة بالحيوان المركوب، نقول شجرة ذلول أي ينالها الناس، وطريق ذلول أي معبد مسلوك، ورجل مذلل أي عبد غير حر، قال الشاعر:

وتكره نفسي كلَّ عبد مذللٍ فقد كرِهَتْ حتى الطريقَ المعبدا

وأرجح أنّ تذليل الأرض هي أنه -سبحانه -جعل الجاذبية مناسبة للسير عليها، فلا هي بالقوة جدا فيلتصق الإنسان بها ولا هي ضعيفة فيطير فوقها أو لا يتوازن فيها كجاذبية القمر مثلا.

٢٥. قال تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[سورة الحاقة: ٢١].

قال الرضي: ((وهذه استعارة. وكان الوجه أنْ يُقال: في عيشة مرضية)) ص٣٤٤.

وأرى أنّ (راضية) باقية اسم فاعل، وهي باقية على المعنى الذي يُعطيه اسم الفاعل أي أنها عيشة هي تُرضي الناس مبالغة في الرفاه الذي تحدثه عند الناس، ولو كان المقصود بها (مرضية أي ذات رضي) لقالها سبحانه، ولِمَ يقول: راضية ويقصد بها مرضية؟ وراضية حققت غرضين الأول جمال صوتي منسجم، والثاني زيادة غير معهودة في الرخاء، وهذا المعنى والانسجام لا تنهض بها كلمة مرضية، إنّ كل كلمة في القرآن مقصودة قصدا فلماذا نؤول في كلام الله ومراده؟.

٢٦. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾[سورة نوح: ١٧].

قال الرضي: ((وهذه استعارة؛ لأنّ حقيقة الإنبات إنما تجري على ما تُطلِعُهُ الأرض من نباتها، وتُخرجه عند ازدراعها، ولما كان سبحانه يخرج البرية من مضايق الأحشاء الى مفاسح الهواء، ويُدرجهم من الصغر الى الكبر وينقلهم من الهيئة والصور كل ذلك على وجه الأرض جاز أن يقول سبحانه ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾.... أي استخرجكم من طين الأرض، ونباتا ههنا مصدر وقع مخالفا لما يُوجبه بناء فِعْلِه، وكان الوجه أنْ

يكون إنباتا، لأنه مصدر أنبتكم، وقد قيل إنّ هناك فعلا محذوفا جرى المصدر عليه، فكأنه تعالى قال (والله أنبتكم من الأرض فنبتُّم نباتا؛ لأن أنبت يدل على نبت من جهة أنه مضمن به)) ص٣٤٨-٣٤٩.

وأرى أن المقصود ليس هذا؛ بل إنّ الإنسان خلق من طين الأرض فصار نباتا، والله سبحانه يخلق من الطين نباتا، وهذا على قسمين حيوان وأشجار وحشائش ولهذا وصف المرأة بأنها (حرث) أي كالأرض يزرع فيها، ونباتها بنين وبنات والأرض يزرع فيها، ونباتها أشجار وحشائش، وعند الموت يدفن الميت فكأنه بذرة دفنت في الأرض، وعند النشور تمطر السماء مطرا خاصا فينبت الميت أي يحيا، وكل شيء في جسم الإنسان يبلى الا شيئا من آخر فقرة من العمود الفقري يبقى شيء صغير يدعى (عجم الذنب او عجب الذنب) اذا وضعت بالماء الحار لا تموت، وإذا دقت لا تتكسر، وفيها مصور صاحبها (خريطته) وعندما تمطر السماء المطر الخاص، تنبت هذه الخلية، وتكوّن صاحبها، فضلا عن أن المقصود بالآية هو النبات، وليس الإنبات.

٢٧. قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ [سورة التكوير: ١٥-١٦].

قال الرضي: ((وهاتان استعارتان فهما جميعا في صفة النجوم، فأما الخنس فالمراد بها التي تخنس نهارا وتطلع ليلا، والخنس جمع خانس، وهو الذي يظهر ويستتر، وأما الكنس، فجمع كانس، وهو الموضع الذي تأوي إليه من ظلال شجر... وجمعه كُنّس)) ص٣٥٩-٣٦٠.

تلك هي معلومات عصر الرضي لكن العلماء المحدثين أثبتوا أنّ: (الجواري الكنس) هي المذنبات تكنس السماء؛ بأن تجذب الأحجار الكبيرة والصغيرة والشهب إليها، والمذنبات تنظف السماء، ولا تظهر الا في سنوات متباعدة كمذنب (هالي) الذي يظهر كل سبعين سنة مرة واحدة.

٢٨. قال تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾[سورة الانشقاق: ١٩].

ذكر الرضي عدة تأويلات هي:

أ. الإنقلاب عن حال الى حال.

ب. لتركبن سنة من كل قبلكم من الأمم.

ج. تنقل الناس في أحوال الأعمار.

ولكن بعض علماء الفضاء المحدثين قالوا في الآية إشارة الى الصواريخ التي تحمل المركبات، صاروخ يحمل المركبة ثم ينتهي مفعوله فيبدأ الصاروخ الثاني فالثالث الى أنْ تصل المركبة الى وجهتها المقصودة.

٢٩. قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾ [سورة الطارق: ١ -٢].

قال الرضي: ((وهذه استعارة؛ لأن الطارق ههنا كناية عن النجم، فحقيقة الطارق هو الإنسان الذي يطرق ليلا، فلما كان النجم لا يظهر الا في حال الليل حسن أن يسمى طارقا)) ص٣٦٣.

الرضي فسر النجم الطارق؛ لأنه يظهر ليلا، ولكن العلم قال: (هو النجم النيوتروني (Pulsars) هو كرة من المادة النيوترونية في حجم كرة القدم يبلغ وزنها خمسين ألف بليون من الأطنان... فالطارق هو جرم سماوي له صفتان، وهما (النجم والثاقب) ولو قارنا بين تلك الخواص، وأي جرم سماوي لوجدنا أنّ النجم النيوتروني يستوفي هذه الخواص نجم وطارق وثاقب... له نبضات وطرقات منتظمة فالطارق يصدر طرقات منتظمة متقطعة (تك... تك... تك) (موسوعة الإعجاز العلمي، يوسف ص٣٣٣).

٣٠. قال تعالى ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ [سورة البلد: ١٠].

قال الرضي: ((وهذه استعارة والمراد بالنجدين الطريقان المفضيان الى الخير والشر، والنجد المكان العالي، وإنما سمي تعالى هذين الطريقين بالنجدين؛ لأنه بينهما للمكلفين بيانا واضحا؛ ليتبعوا سبيل الخير، ويجتنبوا سبيل الشر، فكأنه تعالى بفرط البيان قد رفعهما للعيون، ونصبهما للناظرين)) ص٣٦٦.

وهذا الذي قال الرضي فيه نظر وهو: يرى جمهور المفسرين أن النجدين هما (طريقا الخير والشر) وهو ما يُدرّسونه في المدارس عامة، وحتى الجامعات، ويذكر

بعضهم -على استحياء -أنها ثديا الأم، وأنا أميل إلى هذا الرأي، وأرجحه بل وأجزم به للأسباب الآتية:

١. سياق الآيات السابقة هو الحديث عن عملية الولادة (الوالد، والولد) وعن خلق الإنسان، وبداياته الأولى ولاسيما زمن الرضاعة منها...

٢. الحديث عن العينين لرؤية الشيء المراد (ثدي أمه) للاستمتاع بمنظرهما.

٣. ذكر اللسان والشفتين وهذه كلها يستعملها الطفل في الرضاعة ولا يستعملها في السير على هذا الطريق أو ذاك (طريقي الخير ا الشر).

٤. الطفل يخرج من بطن أمه، وهو يعرف مص ثديي أمه ولولا هداية الله لما عرفهما وهو المقصود بقوله تعالى ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾.

٥. إن الله لا يهدي إلى الشر، وإنما يحذر منه، وذكر عقوبة من يسير عليه فكيف يقول المفسرون (النجدان طريقا الخير والشر) والشر أحد الطريقين ولا يهدي الله إليه أبدا.

٦. إن بعض المفسرين ذكر أن النجدين هما النهدان ونسبه إلى الإمام علي وابن عباس عليهما السلام، لأنهما طريقان لحياة الولد ورزقه، وارتفاعهما ظاهر، والبطن تحتهما كالغور (روح المعاني، الآلوسي ١٥/ ٣٤٩ -٣٥٣).

٧. العرب تسمي النهدين بالنجدين، وتقسم بهما فتقول: أما ونجديها ما فعلت (روح المعاني ١٥/ ٣٥٣).

٨. الجناس الصوتي بين (نجد ونهد، ونجدين ونهدين) ولعلهما من اختلاف اللهجات العربية.

٩. الداعية الإسلامي الدكتور محمد راتب يذهب إلى أنهما الثديان، ويقول: ((يؤكد علماء نفس الأطفال أن الطفل حينما يولد لا يملك أي قدرة إدراكية، بل إن كل ما يتمتع به الراشد من إمكانات، وقدرات، ومفاهيم، ومعقولات وخبرات، ومؤهلات، إنما هي نتيجة تفاعلية مع البيئة، وهذا فحوى الآية الكريمة:

﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [سورة النحل: ٧٨]. لكن منعكسا على حد تعبير علماء النفس يولد مع الطفل، ولا يحتاج إلى تعليم، إنه منعكس المص، إذ لولاه لما وجدت إنسانا على سطح الأرض في قاراتها الخمس إن الطفل الذي يولد من توه لا يستطيع أن يتلقى توجيهات والده في ضرورة التقام ثدي أمه وإحكام إطباقهما، ثم سحب الهواء، كي يأتيه الحليب، لا يستطيع أن يتلقى هذه التوجيهات بالفهم فضلا عن التطبيق (موسوعة د. محمد راتب ص١٨٣).... والله أعلم بالصواب.